هوامش

تصنع الزهور بهجة الطبيعة خلال فصل الربيع، وتتميز السكوكع بأنها تلفت الأنظار في أماكن عدة في لبنان ودول أخرى في المنطقة، ويجذب تنوع ألوانها الناس إلى صنع أشكال مجسمات منها

يقطف الجميع السكوكع لدى التواجد في الطبيعة (العربي الجديد)

زهرة السكوكع

جمال ربيع لبنان حتى بين الصخور

مرجعيون (جنوب لبنان) ـ **عمر يحيى**

سكوكع، بخور مريم، دويك الجبل، عصا الراعي، غليون الشايب، وغيرها أسماء لزهرة برّية واحدة يجذب جمالها وأناقتها الكبار والصغار على حدّ سواء. يشرح مدير المدرسة الفنية الزراعية في بلدة الخيام بقضاء مرجعيون (جنوب لبنان)، المهندس الزراعي غيث معلوف، لـ«العربي الجديد» أن هذه الزهرة البرّية متعددة التسميات تنمو في بلدان الحوض الشرقي للبحر المتوسط، بدءاً من ديسمبر/ كانون الأول وحتى أواخر مايو/ أيار، ويقول: «ما إن يحلّ فصل الربيع في لبنان عامة وقضاءي مرجعيون وحاصبيا والبلدات الريفية والجبلية حتى يتسابق الأطفال مع ذويهم الى البرّية للتمتّع بالطبيعة وخيراتها وأزهارها، وأكثر ما يجذبهم هذه الزهرة متعددة الألوان من الأبيض الى الزهري واللّيلكي وغيرها، والتي تنمو في الجبال والأودية وعلى جوانب الحقول وبين الصخور، لدرجة أن من ينظر إليها للوهلة الأولى يعتقد بأنها تنبت من قلب الصخر».

وتقول أمال يوسف: «يتخيّل البعض لدى رؤيتهم أزهار السكوكع الكثيرة التي تفترش الأرض عندما يحلّ فصل الربيع أن السماء أمطرت ثلجاً، وألبست العشب الأخضر حلّة بيضاء». أمال التي رافقت صديقتيها نجوى وليا وأطفالهما في أحد الحقول المجاورة للحي الذي يقطنونه في بلدة القليعة قضاء مرجعيون، تُعلّم أطفالها كيفية صنع خروف من زهرة السكوكع، وتقول في حديثها لـ«العربي الجديد»: «نقطف السكوكع ونأخذ واحدة مع ساقها الطويلة، ثم نفصل البقية عن سيقانها ونبدأ في إدخالها بالزهرة الكاملة حتى آخر الساق لتبدو بلونها الأبيض والوردي كما لو أنها خروف. هذه الزهرة الجميلة جداً تزيّن الطبيعة بشكل رائع وتبدو لافتة بوضوح عن باقي الزهور في فصل الربيع». وتغمر الفرحة الأطفال لامار نهرا وتيا ضاهر ولمار يحيى وشربل ضاهر وإيلي الحاصباني، خلال تسابقهم لجمع السكوكع الذي ينتشر بكثرة هذه الأيام، ويهتفون «الربيع حلو، الطبيعة حلوة، والسكوكع حلو».

يبدأ هؤلاء الأطفال بقطف السكوكع، أو دويك الجبل، أو بخور مريم، الأسماء الأكثر شيوعاً لهذه الزهرة في لبنان. ومنهم مَن يتلذّذ بطعمها ويتنافس آخرون لجمع أكبر باقة منها. وتتحدث لمار بفرح عن السكوكع «الجميل جداً، ونسمّيه أيضاً دويك الجبل ونحب أن نقطفه كثيراً عندما نكون في الطبيعة، ونصنع منه أشكالاً حلوة».

من جهته، يخبر المهندس غيث معلوف «العربي الجديد» أن «السكوكع نبات معمّر، تموت أوراقه في الصيف، فيما تبقى جذوره التي تسمّى علمياً السّاق الأرضيّة حيّة. وقيمة هذه النبتة أنها تعيدنا الى طفولتنا حين كنّا نأكل ساقها ذات المذاق الحلو، ونصنع منها أشكالاً نسمّيها العقد والخروف وغيرها». يضيف: «يوجد 21 نوعاً من هذه النبتة التي تنتشر في لبنان وفلسطين وسورية والأردن ومصر وصولاً إلى إيران. وهي معمّرة وتعيش سنوات. صحيح أن أزهارها وأوراقها تموت صيفاً، لكن جذورها التي تعرف بالساق الأرضية تنبت مجدداً في الشتاء وتنمو أزهارها في لبنان مثلاً في مارس/ آذار وإبريل/ نيسان ومايو/ أيار. وتتجدد أزهارها خلال هذه الفترة بعدّة أفواج، وتختلف ألوانها بين الأبيض والزهري والأحمر الفاتح قليلاً».

باختصار

تنمو زهرة السكوكع في الجبال والأودية وجوانب الحقول وبين الصخور، لدرجة أن من ينظر إليها للوهلة الأولى يعتقد بأنها تنبت من قلب الصخر

■■■

تزيّن هذه الزهرة الجميلة جداً الطبيعة، وتبدو مميزة بوضوح مقارنة بباقي الزهور في الربيع

■■■

يوجد 21 نوعاً من هذه النبتة التي تنتشر في لبنان وفلسطين وسورية والأردن ومصر وصولاً إلى إيران

يتابع: «هناك أصناف مهجّنة ذات أوراق أكبر وتزهر لفترات أطول، وتقدّم كهدية في مناسبات عيد الميلاد وعيد الأم بسبب جمال أزهارها وألوانها. والأصناف المهجّنة تنوّع ألوانها، وتُزهر لفترات أطول لأنه يتم الاعتناء بها في شكل كبير، وريها طوال فصل الصيف».

فوائد طبية

ويلفت إلى أن «هذه النبتة تعيش الى جانب الصخور والحقول حيث ترتوي بكمية المياه المطلوبة التي تسمح لأزهارها بالنموّ فترات أطول، علماً أن أوراقها تستخدم أيضاً مثل ورق العريش أو الدوالي، ويجري حشوها بالخضار أو اللحمة والبصل وتوضع أيضاً في أطباق السلطة. الجذور التي تنمو تحت الأرض تحفظ الغذاء لزهرة السكوكع، وتجعلها تنمو مجدداً كل عام. ويمكن الإفادة من هذه الجذور (الساق الأرضية) لأغراض طبيّة كثيرة لأنها تحتوي على مادة تحمل اسم «غليكوسيد السيكلامان»، وهي مادة سامّة قد يتسبب استهلاكها بكمية كبيرة في مخاطر صحية كبيرة على الإنسان، أما استعمالها الطبي والعلمي فيساعد على سبيل المثال في شفاء الجروح المتقرّحة عبر طحنها ووضعها عليها، كذلك يمكن استعمالها في معالجة الفطريات بين الأصابع وتحت الأظافر، ولا يزال بعض الصيادين يستخدمونها في صيد السمك عبر طحن الجذور وخلطها بالعجين ليصبح طعما للسّمك، فيتخدّر السمك ويطفو على سطح الماء، لكن يجب تنظيفه مباشرة كي لا ينتقل السّم الى البشر».

ويشرح معلوف: «السّاق الأرضية تتواجد قرب وجه الأرض، بعمق بين 5 سنتيمترات و30 سنتيمتراً، وقطر يتراوح بين 5 سنتيمترات و15 سنتيمتراً، ولونها بنّي. وتستخدم السكوكع أو بخور مريم أيضاً في تزيين الكنائس».

أوراق تؤكل

ويقول مخايل نجم لـ«العربي الجديد» لدى بحثه عن السكوكع ذات الأوراق الكبيرة التي تشبه الى حد ما أوراق دوالي العنب: «تعرفنا منذ صغرنا على هذه النبتة، حين لم نكن نعلم أن أوراقها يمكن أن تؤكل مثل ورق العنب من دون لحمة، وهو ما نسمّيه «قاطع» في فترة الصوم لدى الطوائف المسيحية». يضيف: «أنتظر موسم نمو السكوكع كي أقطف ورقه من أجل أكله، وأنا أجده أطيب من ورق العنب، وتعرّفت على طريقة أكله من الأهل والأجداد».

أما علاء سعد الدين الذي يسكن في كفرشوبا بقضاء حاصبيا (جنوب) فيشير إلى الجمال المميّز للسكوكع، «فورودها وألوانها رائعة. في الصغر كنا نأكل عيدانها وهي لذيذة ونكهتها رائعة جداً. كان أجدادنا يخبروننا أن هذه الأرض مباركة بسبب قربها من فلسطين والمسجد الأقصى، وهذه النبتة لافتة جداً وتجذب الناظر إليها كي يقطفها لا شعورياً».

وبعد التمتّع بالطبيعة وجمع باقات زهرة السكوكع، تحلّقت أمال ونجوى وليا وأطفالهن ورموا هذه الباقات نحو السماء لتمطر عليهم سكوكع.

وأخيراً

ما نحن فيه

رشا عمران

منذ زمن طويل، لم يتح لنا، ابنتي الوحيدة وأنا، أن نقضي وقتا طويلا معا من دون وجود آخرين، فمنذ بداية عام 2011، مع انطلاق الثورة السورية، كل لقاءاتنا محكومة بوجود الآخرين. وبعد خروجنا من سورية، ذهبَت إلى أوروبا وقدمتُ للعيش في مصر، الظروف التي أحيطت بوجود السوريين والقيود التي وضعت على تنقلهم منعت إمكانية قدومها إليّ، حتى في أوقاتٍ كنت في أشد الاحتياج لها (أوقات المرض والمشكلات الصحية الخطيرة). دائما كنت أنا من يسافر لرؤيتها، ما يعني أنني سأراها برفقة آخرين، عائلة أو أصدقاء أو شركاء سكن، ولم يكن متاحا لنا أن نقيم معا في مكانٍ خاص، في ظل الأوضاع الاقتصادية لكلتينا. كنا نكتفي بما نحن فيه، كان ذلك أيضا ترفا علينا أن نشكر الحياة عليه، فثمّة من الأمهات السوريات من لا يعرفن شيئا عن مصائر أبنائهن، وثمّة من دفنّ أبناءهن بأيديهن. وثمّة من لا تتاح لهن رؤية أولادهن إلا عبر الشاشة الصغيرة، والحال ذاته بالنسبة لأبناء فقدوا أمهاتهم أو أي اتصال بهن، أو لا يرونهن إلا عبر الشاشات، وليس بإمكانهم أن يكونوا معهن في حالات الاحتياج والضعف والمرض. خلال لقاءاتي القليلة والمتفرّقة بابنتي في السنوات الماضية، لم نكن معا قادرتين على التواصل الطبيعي بين الأم وابنتها، كان يحكم علاقتنا معا نزعة الاستقلالية الكاملة، ظرف الحياة اللوجستي الذي يحيط بها، وظرف عملها، كان يفرض شروطه على علاقتنا معا، كلتانا كنا نتصرف كما لو أننا منتهيتين تماما من فكرة احتياج إحدانا للأخرى، كنا نتصرف كما لو أننا صديقتان لكل منهما مساحة خاصة لا تقترب منها الأخرى، حتى في إبداء العواطف وإظهارها، هذا النوع من العلاقة كان يبدو صحيا وجميلا بالنسبة للآخرين، فأن تتطور علاقة الأم وابنتها إلى مرحلة الصداقة وتبادل احترام الخصوصية والاستقلالية لكل منهما أمر ليس سهلا لمن تربى في بيئةٍ مجتمعيةٍ ترى في استقلالية الأبناء قبل الزواج خروجا على المجتمع، وتتعامل مع فكرة الخصوصية بوصفها أمرا مضحكا أو تقليدا لعادات غريبة.

غير أن شيئا ما كان ناقصا في هذه الصورة الجميلة، لم نستطع إدراكه وفهم أهميته، حتى أتيح لابنتي، قبل أسابيع، أن تأتي إليّ لتزورني في مصر، وتقيم معي في منزلي، حيث لا أحد سوانا، أنا وهي. لا أحد من افراد عائلتنا معنا، ولا شركاء سكن، وللأصدقاء أوقات مخصصة لرؤيتهم أو للخروج برفقتهم. كنت أحتاج لأن أدلل ابنتي الوحيدة، أحتاج إلى رويتها طفلة لا امرأة ناضجة، أن أجهّز لها فنجان قهوتها وأجهز لها فطورها، وأشتري لها ما تحتاج وما لا تحتاج، أن أقلق عليها حين تتأخر في سهرتها في الخارج، أن أطمئن عليها صباحا أنها نائمة بعمق، وأن لا شيء يقلق راحتها، كنت أحتاج أن أكون أمّا مثلما كانت هي تحتاج أن تكون ابنة، فهي أيضا تخفّفت عندي من كل توتّرها الذي كنت أراها فيه، حين أزورها في أوروبا. تنام بعمق وتضحك دائما وسعيدة وممتنّة لكل الجمال الذي في العالم. ثمّة ابنة عادت إليّ، كنت قد فقدتها خلال السنوات العشر الماضية، مثلما استعادت هي أمها التي فقدتها أيضا خلال هذه السنوات. وعلى الرغم من أن حياة كل منا سارت في الاتجاه الصحيح، وتبدو أنها أخفّ تعقيدا من حيوات كثرٍ آخرين، كان هناك ذلك الشرخ العاطفي الذي كان يكبُر شيئا فشيئا في دواخلنا، والذي أظنه أصاب غالبية السوريين وجعلنا نُصاب جميعا باضطراباتٍ نفسيةٍ تختلف حدّتها بين شخص وآخر. ما حدث في سورية والفقد المهول الذي أصبنا به، والهزيمة المريرة لآمالنا وأحلامنا، والقطيعة التي حدثت لنا مع مسقط رؤوسنا، والإحساس بالحرمان من العودة إلى بلادنا مهما بدت بلادا تعيسة وقاتلة، والإحساس بالقيود التي فرضها العالم على تحرّكاتنا، ذلك كله جعلنا نتصرّف كما لو كنا مكتفين بأنفسنا ونتعامل مع عواطفنا كما لو أنها ضعف علينا إنكاره دائما كما ننكر حنيننا واشتياقاتنا واحتياجاتنا.

ما من حفرةٍ نفسيةٍ لم يسقط فيها السوريون خلال السنوات العشر الماضية، وما من خللٍ لم نصب به، لم ننج إلا ظاهريا، بينما في العمق، نحن ضحايا لا أرقام لنا ولا يلحظنا أحد، ولا حتى ننتبه إلى أنفسنا حتى تأتي اللحظة المناسبة التي ستجعلنا ندرك حقيقة ما نحن فيه.

> نحن ضحايا لا أرقام لنا، ولا حتى ننتبه إلى أنفسنا حتى تأتي اللحظة التي ستجعلنا ندرك حقيقة ما نحن فيه

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**